المحاضرة الثانية

– أهمية الأخلاق الإسلامية :

أولًا: أن الأخلاق هي التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى ،و لهذا فالأخلاق زينة الإنسان وحليته الجميلة ، وبقدر ما يتحلى بها الإنسان يضفي على نفسه جمالاً وبهاء وقيمة إنسانية.

قال تعالى: ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)).

ثانياً: إن هدف الأخلاق تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية؛ ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها ، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي ، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، واذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء ، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي ، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، واذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء ،

ثالثاً: إنهاوسيلة مهمة للنهوض بالأمة ذلك أن سقوط الأمم والحضارات كثيرًا ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، والأخلاق الرذيلة تعتبر نذير شؤم لأي أمة من الأمم ، ومهما وصلت أمة في التقدم المادي والحضاري فليست بشيء إذا هي انحدرت في أخلاقها، وأصيبت في قيمها.

رابعاً: أن الأخلاق الحسنة من أسباب المودة وإنهاء العداوة.والواقع يشهد بذلك، فكم من أخوة ومحبة كانت بدايتها حسن خلق، وكم من عداوةٍ انتهت لحُسن الخُلق، وكم من انشراح صدر وزوال هم كان بسبب حسن الخلق.

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)).

– مكانة الأخلاق في الإسلام :

للأخلاق في الإسلام فضلٌ كبير، ومكانة عظيمة، وهذا يظهر من وجوه كثيرة، منها ما يأتي :

أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها، والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها.

فعن عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

قال ابن عبدالبر (رحمه الله) : " وهذا حديث صحيح، ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل. فبذلك بُعث ليتممه صلى الله عليه وسلم ".

ثانياً: تعريف البرِّ بأنه حُسْن الخلق، وهذا يدل على أن حسن الخلق جامع لكل أقسام الخير وخصال البر.فعن النواس بن سمعان الأنصاري (رضي الله عنه) قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن البر و الإثم فقال : ((البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)).

قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.

ثالثاً: إن كل المؤمنين يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتمنَّون قُربَهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظَفَرًا بحب رسول الله والقرب منه مجلسًا يوم القيامة هم الذين حَسُنت أخلاقُهم، حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :((ألا أُخبِركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟)) فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: ((أحسنكم خُلُقًا)).

في هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم ، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك الأشرار ، وإن كانوا يصلون، ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجّهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، و الصيام الخالص داعية الصبر والكرم ، والحج المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق.

رابعاً: أن حُسْن الخُلُق من أكثر ما يُرجِّح كِفَّة الحسنات، ويثقل به موازين الأعمال يوم الحساب.

فعن أبي الدرداء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((ما من شيء يُوضَع في الميزان أثقل من حُسْن الخلق، وإن صاحب حُسْن الخُلُق لَيَبلُغُ به درجة صاحب الصوم والصلاة)).

خامساً : أن حسن الخلق أكثر عمل يدخل الناس الجنة.

فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم):عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)).

قال ابن القيم (رحمه الله) : « جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته ».

سادساً: مدح الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحُسْن الخُلُق فقد جاء في القرآن الكريم في وصْف النبي الكريم قوله عز وجل: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).و الله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم ؛ مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

سابعاً: أن من أهم عناصر الخيرية المطلَقة بين المؤمنين هو تحليهم بالأخلاق الفاضلة، والخِصال الحميدة. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أخيركم أحسنكم خلقًا)).

ثامناً: أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأخلاق تتناسب طرديّاً مع الإيمان؛ فكلما زاد معدل الإيمان في القلب؛ سمت الأخلاق، والعكس بالعكس.فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)).

قال ابن القيم (رحمه الله) :" الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ".